رجال تعطرها بالماء الساخن، ليعفروا نفس الأقدام بتراب شوارع الرزق والثورة والمومسات. تزيل التراب فى كل ليلة لتزرع المودة فى الأيام، تراب السكك لا يعمر طويلاً، لكن كل ذرة تراب مسحتها «أمينة» أو داست عليها، شهدت بأنها كانت «أمينة» فى حبها وأهدافها التى لم تقصدها.

من يقترب منها يدرك حكمة فى الكون لا يصل إليها إلا عارف، بعض حكم الأيام لا يكتبها أحد، يكتبها أناس يعبرون فى الأيام، تبقى مسيرتهم دون أن نعرف سيرتهم، ما أروع أن ندرك السيرة والمسيرة معاً لأحد هؤلاء الناس.

وفى «الثلاثية» المدهشة التى كتبها الأديب الكبير نجيب محفوظ محاولة فريدة لفعل ذلك، فقد أمسك بخيط السحر الذى يربط السيرة بالمسيرة، فنقش على جدار ذاكرتنا منمنمات لا تحتاج إلى روح لتحيا، ولا إلى كلمات لتنطق، هى فى حد ذاتها روح وحياة، نور ونهار، ثورة ١٩١٩، وأجمل قصص الحب، وعنفوان العقل والدجل والجهل.

ثلاثية «بين القصرين»، «قصر الشوق»، «السكرية»، لا يمكن الإلمام بها، ومن ذا يجرؤ على الإلمام بالأيام والأحلام والأوهام.. معاً؟!.. لا أحد.. إلا قليلون فى الدنيا، وشخصية واحدة فى الثلاثية، لم تعد الشخصية ولا صانعها فى حاجة إلى شهادة جديدة، نحن الذين فى حاجة لشهادة بأن لنا صلة بتلك الشخصية، التى وُلدت كل حياة الثلاثية من رعايتها، ونمت حتى ما شاء لها النمو والحب والمجون والثورة.